

الربا جوهر العبوديات

غضب الاميركان غضباً شديداً عندما نزل الفلسطينيون المجاهدون في مطلع ربيع هذه السنة على ساحل بلدكم فلسطين المغتصبة قرب يافا كظهره مظاهر كفاحهم الطويل لاسترداد هذا الوطن من مغتصبيه الصلوانية . واطعن بوش رئيسهم قطع تلك الحوادث الثائرة التي كان يجري سفيره في تونس العاصمة من حين الى آخر مع احد ممثلي منظمة التحرير على عتبة بيته الذي خرج منه في يوم من الايام ادلك القتل الذي افتخروا الشهيد ابا جهاد خليل الوزير . والاميركان يعتبرون جهاد الفلسطينيين في سبيل استرداد وطنهم من مغتصبيه الصلوانية ارهاباً . اما تصوين الحزب المتزودين ومجيشهم من اصقاع بعيدة ليقوموا بحجبة الاغصاب تلك فهي عندهم من "الحقوق الانسانية" . وكانت الولايات المتحدة في هذا العام قد وجهت اللوم الى العراق لمحاولة حكومته تطوير وسائلها الدفاعية واتهمت هذه الحكومة بالعدوانية لئذ رئيسك صرح بأنه سيافع عنه بلده في حالة وقوع عدوان عليه من قبل اسرائيل كما سيقف في وجه كل عدوان صهيوني على اي قطر من الاقطار العربية . وهؤلاء الاميركان لا يفتكرون عند الاحتجاج بحدة على كل دولة عربية او اسلامية تحاول امتلاك اسلحة ستطورة ولكنهم ما صدف لهم ابدأ ان احتجوا على امتلاك اسرائيل اسلحة صاروخية نووية واسلحة كيميائية واخرى جهنومية ، وعلى العكس من هذا فهم ساعدوا بكل قواهم في تطوير الجواز العسكري العدواني الصهيوني في جميع المجالات الكلاسيكية والنووية والكيميائية والجهنومية . كما استمروا ابدأ بدون انقطاع في تغطية كل عدوان صهيوني على العرب بكل الوسائل المادية وباستعمال حقه النقص في الامم المتحدة . وليست هذه الامور من المستحقات ولا من الشذوذ في سلوك دولة الولايات المتحدة الاميركية تجاه العالم المعاصر . فهي ثلثاً طالما سمعت لدن الحكومة السوفياتية كي تفضي هذه الحكومة عن النشاط التزييني للصهيونية في بلادها وذلك تحت حجة حقوق الانسان واساغة الديمقراطية . وقد تدخلت بكل ثقلها في النزاعات الاخيرة للمعركة الاشتراكية حتى كانا وصية على شعوب هذا المعسكر او كانا جهنمته . ولطالما صرحت في هذه المناسبة اولئك في هذا الجهد من العالم او ذاك ، بان لكل مصالح تبرر لك التدخل الفظ في شؤون الغير . ان المجتمعات الانسانية تتواصل وتتفاعل وتتكامل في جملة عالمية يسود فيها نظام الكثرة هذه المجتمعات تقدماً مادياً ، والعبودية الرأسمالية هي النظام السائد حالياً في جملة المجتمعات الانسانية وذلك باباطورية عالمية متعددة الرؤوس مرعدة بزعامة الولايات المتحدة

الاميركية . وتصرفات هذه الدولة التي اعطينا بعض امثلتها اعلاه تبدو ورقة فظة عندما
نسبغ الى نظام عالمي لا وجود له الا في المزايم الكاذبة للمستعمرين واعوانهم وفي ادهام
الطغيان ، المزايم القائلة بان الامم تكافأ حالياً في الجملة الانسانية ولا حقوقه متساوية
اما عندما ننظر الى هذه الجملة نظرة واقعية فنرى ان ما يحكمه الان هو نظام تلك الامبراطورية
العبودية التي تقودها الولايات المتحدة الاميركية فاننا نجد التصرفات الالفة الذكر لقادة
هذه الدولة طبيعية وتنسجم تماماً مع النظام القائم الذي يحكم العالم بوقاحته وظلالته
فقد بني النظام الرأسمالي على الغزوية الانانية الساعية الى تقييد الكائنات الحية بقواعد
تتحدد وتطبق في الوجود في حدود اللدغ لتحقيق مصالح ورفعات القلة من ازيد البشر .
والفردية الانانية هي بالتعريف التي لا تأخذ بعين الاعتبار سوى ما يرضى ذاتاً وان
سبب الاذى للآخرين ، الامر الذي يؤدي الى افعال وطعن هذه الآخرين بحياة غير منتقصة
بشكله اشكال العدوان . ويؤدي ايضاً الى كل اشكال الطغيان الذي لا تتوقف فيه حرية
الفرد عند حدود حرية الآخرين . وتقع البشرية في النتيجة في اسر عبودية القلة الجمعة
الملكة بالنظام ، هيبة ينفذ سواد البشر بهذه الدرجة او تلك ، بالدرجة المقينة
بموقع الفرد في النظام الاجتماعي السائد ، وهو النظام الرأسمالي ، القرار بتصرف شؤون
حياته الخاصة ، فهو ملكه بقيود النظام التي تحول الى كيان مُسَخَّر لخدمة مصالح تلك
القلة الملكة بهذا النظام . ام ان الكيان المادي والروحي للفرد في سواد البشر ينفذ
حريته في الممارسة الايجابية لوظيفته في اطار الجماعة وتنتقص بالتالي ذاته بشكل مناسب لكانه
في النظام ؛ بدلاً من تعاون وتكامل وتكافل افراد غير منتقصين بقيود العبودية في اطار
تكاثر الغصن بحسب الناس في نظام افراد منتقصين لا يجمعهم سوى السابذ الاناني في
اطار العبودية .

غرض صاحبه Δ Δ Δ Δ Δ

ان تثير المال بغير عمل صاحبه ليدكون على العموم الا بقر العامل ^{غرض صاحبه} بعلدقة
اجتماعية عبودية ؛ علدقة الره او علدقة الرأسمالية هيبة تجيز قوانين هذين النظامين
العبوديين مختلف اشكال الانفصام والنهب والعدوان . ولكن الشكل الاساسي لانفصام
القيم في النظامين المذكورين هو استعباد المنتج بتقييده بعلدقات اجتماعية مناسبة يقنن
النظام للاسترقاقه او استمداد قوة العر بسرائر او ممارسة الربا . ولننظر فيما
يلجى اليه كالمه هذه النماذج الاساسية لانفصام القيم ؛
الاسترقاقه : تقوم هذه العلدقة على قاعدة : " ان العبد وما ملكته يداه ملك لسيده " .
وهذا يعني بوضوح ان ذات ذلك الانسان الذي هو العبد قد تلاشت واختفت فيما
يشكل ممتلكات السيد ، الامر الذي يتكامل باختصار الموت الاجتماعي لذلك الانسان . فالعبد
في الواقع ميت ^{اجتماعياً} ميتة فاقه كل حقوقه الحرد واجباته الاجتماعية مما تلك التي تقسه
على التلاشي ^{اجتماعياً} في طاعة وخدمة سيده . ولا يقف انتقاص ذاته الانسان في نظام الره
عند العبيد ، فالاهرار يالهم من هذا الانتقاص بمقدار هبوط منزلتهم الاجتماعية .

القانون السائد هو قانون تجارز الاقوى على حقوقه هو اقل قوة ، وما يجب تركيز الانتباه اليه هنا هو تلك العلاقة الاجتماعية التي تنبع من الذات الانسانية بمختلف درجات الانتعاش حتى تلاشي هذه الذات بالاسترقاقه .

استملاك قوة العن : ان الذات الانسانية تقوم وتستم في الفرد واجباله بطاقته قوة العن ، التي يعرف بها هذا الفرد ويعمل ، والتي تتجدد وتتطور بالفداء والراحة والتكيف وغنيه من متطلبات الحياة الاجتماعية ، ولكن العن في النظام الرأسمالي غير ممكن الا بوسائل لا تتوفر الا للقلة من الناس المهكبة بادارة هذا النظام ، ووسائل الرأسمالية ، عاملها دورياتك ومخابرها ، بحاجة من جهة اخرى الى اليد العاملة لتنتج وتتجدد فلا يستطيع مالكها بمفرده ان يحركها كغده الغاية كما يفعل الحر في بادوانة البسيطة ، وتتجدد النتيجة ان قوى الانتاج في النظام المذكور تقوم على قطبين متعارضين هما : وسائل الانتاج المملوكة من قبل فرد هو الرأسمالي وقوى العن التي يملكها العمال ، وتتجدد وسائل الانتاج وقوى العن بالانتاج الحاصل بالعن ، فالرأسمالي الذي يحصل على وسائله المتجددة بعد استهلاكه بالعن يحصل ايضا على ارباحه من فضل القيمة الناشئ عن عمل قوة العن ؛ ان القيم الناشئة عن عمل العامل بوسائل الانتاج تعوض ما استهلكه هذا العامل من هذه الوسائل وتتجدد قوة عمله بالاضافة الى فضل قيمة يتوفيه الرأسمالي بدون مقابل ، وتتجدد رأس المال بتعويض ما استهلك منه ضئيلة للعن وللرأسمالي فلا يبقى اذن سوى تخفيض تكاليف تجديده قوة العن لتضخيم فضل القيمة ومنه ارباح الرأسمالي الذي يجعله من سعيه الى هذا الامر مشغله ان يغفل والعامل مكره على بيع قوة عمله للرأسمالي مالك وسائل الانتاج لعدم استطاعته امتلاك هذه الوسائل واستحالة منافسة بادوانة حرضيه ، اي انه مكره على بيع تلك الطاقة التي تقوم عليها ذاته لقاء مجرد تجديده هذه الطاقة الذي يجب ان يستمر بتمن ضياح الا ان المذكورة بهذا الارتباط الذي لا انفصام له بقوى الانتاج ، بوسائل الانتاج وقوى العن ، التي يملكها الرأسمالي ؛ تدخل قوى العن في ملكية الرأسمالي لقاء الاجور المدفوعة لاصحابه العمال ، ولا يختلف الاسترقاقه في الجوهر عن استملاك قوة العن في النظام الرأسمالي ، فسيد الرقيقه يمتلك قوة عمل رقيقه التي هي وهدا مفيدة له فهو لا يختلف عن الرأسمالي الابكونه هو بذاته الذي يقوم على تجديدها غذيا يعيش رقيقه في كنفه ، بل كان هنالك شكل من الاسترقاقه يعيى فيه الرقيقه ويعمل مستقلاً عن سيده الذي كان في هذه الحالة يفرض عليه اتاوة يؤديك اليه بحيث كان لا يبقى لهذا الرقيقه من جهاد وعمله سوى ما يجرد به قوة عمله بشكل سيئ ، الامر الذي يشبه حالة عمال النظام الرأسمالي شبه يكاد يتطابقه معه ، ثم انه الرأسمالية بدأت باسلوب التعاود الرأسمالي البسيط الذي عماد بالانتاج الى شكله الذي كان يقوم في قصديات او اخر عهد الرقه ، فصغار الرهبان والراهبات في اديرة البابوية التي كانت حينذاك تشن الحروب الصليبية على دار الاسلام في مصره الارض ومغربك كانوا يعملون جماعياً في مختلف فروع الانتاج الزراعية وغير الزراعية مقابل لقمه الخبز فقط مع بركات امراء الكنيسة والملصوة هؤلاء الاراد ،

ويؤلف النظام الرأسمالي القائم اساساً على العلاقة العبودية بامتلاك قوة العن من

قبل الرأسمالي، التنافس العدائي بين مختلف المنجيين الرأسماليين الامر الذي ينعكس على المجتمع
 بهدر هجوم كبيرة من القيم، ويتصاعد التنافس ويمتد ليكون بين مختلف المجتمعات والدول
 وليؤدي الى قيام الامبراطوريات واستعباد الامم وتزويق وشهيق ثروات وتخصيد
 الحروب وحسب، وازهاق الارواح بالملايين وهدر القيم بالمليارات على ما يؤدي الى ان
 ويدمر سبغاته، بالإضافة الى الفوضى الاجتماعية التي طالما رعت الانتهاز والانتهازين
 وضيقت محيطات القيم على الانسانية.

الربا : ان هذه العلاقة الاجتماعية التي عرفها الانسان منذ العهود القديمة لطور الره
 تنقص الذات الانسانية في كل طبقات المجتمع وفئاته فحصل بسدة ضررها الى تمويل معظم سعي
 وهدر الانسان في مجالات الرزق الى ركثف على ابناء فائدة الدين في الوقت الذي يتقر فيه
 هذا الدين قائماً في زمة الدين يربطه بالدائن، وسما كانت الأوجه التي ينفقها في الدين، كانت
 لتدار ادرات عمل للمدين ام لاقامة تجارة ام لمجرد الانفاقه في ابي وجهه كان من اوجه الانفاقه، فان دين
 الربا يفسد ثماً يفتري به الدائن قوة عمل تربي امواله بفوائد كما تربي فضول القيم الناشئة عنه فمن
 العامل رسائل اصحاب العمل، فالربا ان شكله اشكال فضل القيمة من حيث النتيجة. ولقد كانت علاقة الربا،
 ولا تزال دوماً، عبء و ا على الانسان الذي يفقد بك ذاته فيصبح تماماً كالرقبوع المار ذكره اعلاه
 الذي كان يؤدي اناوة السيد من جهاد عمله المستقل خلال حياته المتقلبة عن ادارة هذا السيد،
 بالإضافة الى ان الدين كان يقطع بقوانين نظام الره في استرقاقه دائمه عند توقعه من ملاد
 شروط دينه، وفي هذا العصر نجد نموذج الرقبوع المدين في ملايين رعايا الولايات المتحدة الاميركية
 اكد بحد النظام الرأسمالي العالمي تقدماً مادياً وفي ملايين رعايا القارة الهندية الفقيرة التي
 طالما نهجك المستعمرون، فيقال شئ ان الاميركي يتزوج ويكسب ويجهز بالدين ولا يشترى ابد ا
 من الكدح لمواجهة استجماعات فواتير ديونه وفوائدها، فجزء هام من كدح المجتمع يتحول الى
 قيم تقوه في خزائن المرابين بينما تتارب اشكال لا تنتهي من الشقاء والضيوع على جماهير هذا المجتمع
 العبودي، اما في الهند فالحرقيات الفقيرات بمئات الالوف يقبلن لتسدين الواحدة منهن مائة روبية
 لتبني بك رأس مال تافه تكدح به وعائلتها صغاراً وكباراً لسد رمقهم بالكاد بعد تقسيم خاكرة
 لهذا القرض وتعويض ما استهلك منه وهو باه ابدأ بدمتري، وتبلغ شراسة المرابين في نظم
 العبودية حد ا يقومون فيه باجبار ضعفاء قرومهم، وهم غالبية المجتمع، على الارتباط بقروض
 الربا معهم، وفي حالة تمنع البعض من الاستقراض ينال جزاءه على ايدي زبانية أدلك
 المرابين، وفي عصر العبودية الاميركية الحالي تسع ال (سي، آي، أي) الى قلب كل حكومة في
 عالم الفقراء، العالم الثالث، تمنع من الاستقراض، الامر المعروف جيد أعلى الاخص في اميركا اللاتينية،
 ولقد بلغت بشاعة التمار الاجتماعية للربا درجة قرن معك العرب الدين بالعبودية فهدت
 شئ كلمة مدين تعني العبد لفة، يقول عمرو بن كلثوم:

وايام لنا غرّة طوال عصينا الملك فيك ان ندنيا

اي، بحسب شرح الزوزني، عصينا الملك فيك كراهية ان ننذل له بطاعته،
 وقد همت تورات التوحيد، ولا سيما من الاسلام، اخذ الربا بكل اشكاله اطلاقاً، فغاب

القرآن شلاً على اليهود تداولهم الربا كما اتقد الاحبار والرهبان المطلين . ونقرأ في سورة البقرة
 الآيات الكريمة الثالثة الرائعة في الرد على الحجج الواهية المصطنعة للمرابين وفي تحريم الربا
 " الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا
 انما البيوع مثل الربا واهل الله البيع وهم الربا فمن جاره موقظة من ربه فانتهى فله ما سلف ولم
 الا الله وسعداء فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون . يحرم الله الربا ويرب الصدقات واللايين
 كل كفارة اثم . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند
 ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذرُوا ما بقى من الربا
 ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكنم رؤوس اموالكم
 لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم
 تعلمون . واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون " .

وسجد هنا ان الاسلام كبح برأس المال ان لا ينتقص وان يرد الى صاحبه سالماً : " .. ولكم
 رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون .. " ، وحرم ان يكون تراكمه عند بعض الناس ، والحاجة
 اليه وفقده عند آخرين سبباً لوقوع هولاء اسرى تمييزه لمصلحة أولئك باي شكله اشكال
 التمييز الربا الذي تتعدد ابوابه حتى تبلغ السبعين عند الفقهاء . وواضح في قول القرآن
 الكريم اعلاه ان المال لا يمكن ان يكون سبباً لقيام علاقة ظالمة تغدو المجتمع فيجب تمييزه اذن
 بتقريب مثل هذه العلاقة . اما أولئك المرابون الذين رأوا تناقضاً في رضائه تعالى باحلال
 البيع وتحريم الربا مع تماثل هذين الامرين بزعمهم البين البطلان فقد سخر القرآن
 منه منطلقهم الذي يبدو كمنطقه المجنون المصاب بحس من الشيطان او كمنطقه الشيطان المادغ
 المتخبط . ففي البيع يتسارى البيعان (البائع والشاري) بعلاقة اهدهما بالآخر في الرقعة
 الذي يقع فيه المدين في عبودية الدائن بعلاقة الربا . ولشدة بدهة ووضوح هذا الامر عند كل
 الناس فهم قد مارسوه في حياتهم الاجتماعية امسك القرآن الكريم عنه مباراة أولئك الكفرة
 اصحاب النار في مثل هذا النقاش العقيم واكتفى بالسوية الالفة الذكر منهم . ثم ان
 التوحيد ، وعلى الاعمق منه الاسلام ، حرم في الجوهر انتقاص حرية الفرد واستعباده
 وكان الربا من ألد مظاهر الفساد شيوعاً في استعباد الناس واخضاعهم لزمرة ضئيلة من
 المرابين سادة نظام الرصد ، الى جانب الاسترقاقه المباشر الذي كانت علاقة الربا تؤدي اليه
 ايضاً عند مجز المدين من وفاء دينه ورباه . ومنه الواضح جيداً ان استملاك قوة العون في
 النظام الرأسمالي هو شكل من اشكال العبودية التي تترتب ، شرعياً ، رأس المال بكدح العامل
 المستثمر ببيع قوة عمله من الرأسمالي وله آثاره الاجتماعية الفاسدة التي نعرض جيداً
 ونعاني منها كثيراً في عالمنا المعاصر .

وانتة الوضعية الجديدة ، انتة الرأسمالية ، بعبوديتها المشار اليها ورباها الذي
 وصفته في عام ١٨٨٥ بكلمة لي تحت عنوان " على هامش الخبز والبنادير " ، قدمت برك ترجمة
 لبحثه الاقتصادي البريطاني الاستاذ نايجل هاريس بنوا العنوان حول ازفة الاقتصاد
 العالمي المعاصر . والكلمة هي التالية :

رد قلنا ان المستعرات القديمة راسخا جدا حدثت بعد الحرب العالمية الثانية اليرخي
 لريه التنمية الاقتصادية لتلحمه بركب التقدم المادي . وكان السعي ساجد تنمية الاقتصاد
 الوطني في البلد المختلف لا ينفصل بدهة عنه الكفاح ساجد الحفاظ على القيم التي تتأ وتقوم في
 هذا الاقتصاد ومنعزل منه ان تسرب الى خارج ارض الوطن دون مقابل لتتقر في خرائط
 ويطون الاحتكاريين المستعريين واتباعهم . ولكن نظم الرجعية والاشتراكية والمجرب في
 العالم الثالث ربطت اوطانها بالشبكة الاحتكارية العالمية التي تنزع عمدا ايديها عندما استولت
 على السلطة في بلادها بمختلف الوسائل التي ساهرتها الانقلا بانة العسكرية ، والتي نجد
 في كل الآثار الفاضحة لدانس وتامر المخابرات الاميركية ان لم تكن مرارا غزدا عسكريا
 اميركيا مباشرا او بواسطة قوى عميلة لاميركا . وكان احد اساليب النهب الاستعماري اسلوب
 "المساعدات" المالية على شكل قروض للتنمية تلتفلا تلك النظم العميلة . ان هذا الاستعمار
 الحديث ، الذي استبدل الاحتلال المباشر للمستعرة بنظام عميد يقوم على وقاين مجربون
 ويصونون ارتباطا بالشبكة الاحتكارية العالمية تحت شكل الاستقلال الوطني المزيف
 (وفي احيان كثيرة تحت شكل التقدم الاجتماعي المزيف) نقول ان هذا الاستعمار استمر
 هذا الاسلوب فعمه على كثير من علاقاته بالمقهورين ، وقروض "التنمية" تأتي في مقدمة
 هذه العلاقات ، فالنظام الاحتكاري الحديث قد لا يدير مشاريعه مباشرة في "المستعرات
 الحديثة" وإنما يقرض امواله بالربا لوكلا في هذه البلاد المختلفة لإقامة بعض المشاريع
 هناك فيقومه ارباها مزدوجة : ارباها على شكل ربا وارباها سبيع معدات المشاريع والربا
 يشكل دخلا جاريا باستمرار الى جانب الارباح الاخرى المحققة سبيع قطع الغيار والمواد
 الدولية وتبديد المكائن المتراكمة واجور الداسات وغيرها وغيرها . انه نظام تديره الاحتكارية
 العالمية يجبر في كل عملية سلسة لا تشترى من الصفقات وليس صفقات متفرقة بعدد محدود
 فحسب . وفي النتيجة يصبح البلد المتقروض في حال لا يختلف عنه حاله عندما كان مستعرا بل
 اسوأ . ذلك لأن ربه يترك على شكل سبيلا مجري من القيم التي ~~التي~~ تخرج وتذهب بعيدا الى
 خرائط المستعريين الاحتكاريين ، ثم ان القروض لا تصرف كالا في التنمية ، بل ان جزءا كبيرا
 من كل منق مع قيم اخرى تفوقها باضعاف مضاعفة ينتجها البلد تصرف على نظام الوقاين
 واعوانهم وعسكرهم ، وفي النتيجة يزداد الحال سوءا فيستدعي الى مزيد من القروض ،
 فالحل مزيد من الالتزامات لوفاء الاقساط والفوائد وهكذا . الى ان تخين ساعة الانفجار وهي
 ساعة آتية لا ريب فيك وان لم يرها الاحتكاريون الذين اعنت ابصارهم وبصائرهم غنائم
 الرب والنهب من هنا وهناك في هذا العالم المقهور . يقول الاستاذ هاريس في الفصل
 الرابع من كتابه هذا : "لقد اوسع مجر الديون المتراكمة بسرعة بلغت اعلى المستويات حينما كان
 المستدينون يجادلون زيادة حجم ديونهم ليفطوا مدفوعات الفائدة المتضخمة وكذلك
 اقساط ديونهم ، وهكذا فان دين المكسيك قد تضاعف بسرعة كبيرة من ٦٠ مليار دولار
 في سنة ١٩٨١ الى ٨٢ مليار دولار ، تقديرا ، في سنة ١٩٨٤ ، ويقول في الفصل
 الخامس : " ان تنمية بلدان العالم الثالث قد اشتدت بشن الديون المتقائمة ، وفي نهاية

العقد السبعين كانت ديون البلدان النامية حوالي اربعمائة مليار دولار ، وبلغت في
 نهاية ١٩٨٤ خمسمائة مليار دولار ... في عام ١٩٨٠ كان اثنا عشر بلداً نامياً هي :
 البرازيل والارجنتين والمكسيك وكوريا الجنوبية وكوريا الشمالية والبيرو والفلبين وتركيا
 وبولندا ونايجير واندونيسيا والسودان ، تدفع ستة عشر مليار دولار سنوياً كفوائد
 لمقرضينك ... ، انتهى قول الاستاذ هاريس ، ونحن نقول ان هذا المقدار الذي اعطاه الاساذ
 هاريس لفوائد ديون تلك البلدان اقل بكثير من الواقع . ففي ذلك العام كانت ديون دولتين
 من الاثنى عشرة دولة المذكورة ، وهما المكسيك والبرازيل ، تتجاوز المائة والخمسين مليار
 دولار فتعطي فوائد للاحتكاريين المقرضين تتجاوز الستة عشر مليار دولار ، على
 اعتبار ان المصارف تعطي فوائد على الاموال المدروعة له يبلغ أكثر من ٨٪ ولكن تأخذ
 أكثر عندما تفرض تلك الاموال . والخلاصة هي ان ذلك البلد الذي ينمي اقتصاده بالاستدانة
 من الرأسمالين الاحتكاريين لا ينمي فقط قطاعاً لجزء هؤلاء المرابين وانما ينمي لهم ايضاً
 " مصيدة " يقتضون بجزء بقية اقتصاده مع تنمية قوى القمع في بلده . ان البرازيل مثلاً ، الدولة
 الصناعية الجديدة تزدهر تحت عبء من الديون يتجاوز حالياً عام ١٩٨٥ المائة مليار دولار ،
 فصناعتها التي نمت في اعقاب الحرب العالمية الثانية مع بقية اقتصادها الزراعي والمخري وكبح
 الملايين من شعبها البائس ، كل هذا رهنة للرأسمالين الاحتكاريين المرابين الذين يتركون
 للبيروقراطية العسكرية الحاكمة هناك ، مباشرة تارة ومنه وراء ستار تارة اخرى ، بعض
 الفئات من الغنائم . وهذا المثل شائع في العالم الثالث .
 ان علاقات الربا في النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي لا تقتصر فقط على بلد العالم
 الثالث الى الشبكة العالمية لهذا النظام ، وانما تتناول كل جزء في هذا العالم فتدفع هيروطوك
 وتجيبي لتكبل الدول والبلديات والشركات والمزارع والاسر . فالديون العامة للدوليات
 المتحدة الاميركية مثلاً تزيد بمعدل ٤٢٠٠ دولار في الثانية بحسب ما جاء في هذا البحث
 الذي بين ايدينا للاستاذ هاريس ، وهذا يعطي زيادة سنوية في ديون الدولة الاميركية
 تقرب من ١٢٦ مليار دولار يدفع فوائدها واقاطير المستحقة سواد الشعب الاميركي
 وخاصة منهم الكادحين والفقراء ببلاد المعيشة وزيادة التضخم ، ويقول الاستاذ هاريس
 في الفصل الرابع من كتابه هذا : « لقد تصاعدت فواتير الفائدة المصرف على الشركات الاميركية
 من ٤٥ مليار دولار في عام ١٩٧٩ الى ٥٦ مليار دولار في ١٩٨٠ ولعلها بلغت ٦٥ مليار
 دولار في ١٩٨١ ... » انتهى قول هاريس . وبديهي ان الذي يدفع هذه الفوائد هو المستهلك
 وليس كبار ماهي الشركات المستدينة الذين يكونون في آن واحد ماهين في هذه الشركات
 وماهين في المصارف التي قدمت القروض لهم ، فيعود عليهم النفع المضاعف من ارباع
 الشركات وفوائد المصارف . وعندما تقع خسارة في شركة من الشركات او تفلس فان للمقرضين
 يكونون من كل الماهين ما عدا كبارهم الذين يكونون قد اخذوا احتياطاتهم سلفاً فاستخلصوا
 من اموالهم وبقايا اموال غيرهم ، لانهم الوحيدون الذين يكونون على اطمئنان تام على
 خفايا احوالهم وفي مراكزهم في ادارتهم تمكنهم بسهولة من الهروب باموالهم سالمة في الوقت

المناسب .

وأيضا ، رأينا ان ذنب الرُّبُوَّة المَال بآليات تمدن رئيسية : الاسترقاقه ، واستملاك قوة العمل ،
والدين بالربا . وهناك بطبيعة الحال اشكال اخرى كثيرة لانقاص الذات الانسانية وخصاص
ما بيدها من قيم وتحويله الى خزائن الغاصب . والثورة عندما تمنع انقصاب القيم بكل اشكاله ،
بغير وجع لها ، انما تهدف الى تحرير الانسان وانقاذ ذاته من الانقصاب وردها الى
تمامه لتقوم بوظيفتها الاجتماعية بتمام مؤهلاتها المادية والروحية . ولكن الثورة اذا تحرر
الانسان من شكل من اشكال العبودية ليدرك من ان تضع نظاما يحمي هذا الانسان من تلك
العبودية التي تحررته . فاذا ما اتجه هذا النظام بفعل وعينه بيروقراطية قام شكل آخر
من العبودية بحمايته : يصبح النظام الحرِّوقراطية الوضعية اداة سخرة للانسان بعد
ان كان قد حرره من عبودية قديمة . وقد رأينا عبر كل التاريخ الانساني ان المال سبب
ورسيلة التقدم المادي والروحي للانسان هو ايضا سبب شقاء وسواد البشر عندما تدبره
الايدي القذرة فتستعين به بكل من الاشكال في استعباد الناس . وقد كذب الفكر الوجيه
بنسبة التجارب الاجتماعية التي دامت وتكررت خلال الالف السنين في روافد انقصاب
الغريبة الى ما لا مال من قوة في افساد علاقات الانسان وتعطيل هرياته . فعملت
ثورات التوحيد ، كما قلنا اعلاه ، على تحييد المال وهيمته كرسيلة لانقصاب قوى
المجوس من منة لتعمل على تضيئه بدون مقابل عادل ؛ حُرمت الربا وحجته والحت على تحرير
الرقوبه .

ان كل ثورة معاصرة لا بد من ان تتخذ مواقف التوحيد فتعمل وتجاهد في سبيل تحييد المال بكل اشكال
ملكيتها ، عامة كانت ام خاصة ، ومنعه كرسيلة لاستعباد البشر . وليس هنالك من هجمة لارتكاب
جريمة سخرة للانسان من اجل نظام من الانظمة . فالنظام للانسان وليس العكس . ثم ان كل
قيمة لا بد من ان تعود بكاملها لمنجزها كما يعود كل مال لصاحبه ؛ لا احد يظلم احدا كما جاء في الآية
الكرمية الواردة اعلاه . ونرى من جهة ثانية ان حياة الانسان وكل مشاريعه المنقوية
تقوم في مجتمع له تكاليفه المادية ، كما ان تقدم هذا المجتمع لا بد له من تكاليف اخرى تضاف
الى تعريف استمدادات ساميله . فلو ان كل منتج ، عامل او موزع او صاحب مال ، استهلك
كل ما ساهم بانتاجه فلم يبق له في هذا اي ورا اجتماعي فان المجتمع بكل مقوماته يزول . هنا
يجب ، بنسبة كل صاحب ، ان ذوات البشر وهرياتهم مع ضمان ديمومة مجتمعهم وتقدمه
المستمر في نظام التمر من الامور التي لا تقوم الا بالمساهمة المنصفة للجميع على اساس
التعارف والتعاون والتكامل والتكافل في اطار تكافؤ الفرص للناس جميعا . وصياغة
هذا الامر بدساتير وقوانين وتطبيقه في هذا العصر لا يكونان الا بنسبة ثورة طاهرة
تزيل عنه عائقه البشري نظام العبودية الرأسمالية . عندئذ يبدأ الناس في الجملة الانسانية
بتحقيقه وتطبيقه قاعدة : لكل حسب جهده . وعندما تتخلص الانسانية من السخاخر والحروب وتحرر
من ربقه الانتكاز فتبذل مشروع يبذل الذوات والقيم بدون طائل ، عندما يتعاضد
الناس في الجملة الانسانية على اساس التعارف والتعاون والتكامل والتكافل في اطار

تفاوت الفص بجميع ، فان ما يتوفر منه قيم سيكون كافياً بالوسائل الجبارة التي توصل اليها البشر
عالياً لتتميم شعائر : لكل حسب حاجته ومنه كل حسب طاقته ، دون اي قسار اذ الراه ولكن
بالايمان والتزاهة والعدل .